

تفسير البحر المحيط

@ 12 @ الضحاك : الكلام إذا خرج مخرج التبكيت يكون باستفهام وبغير استفهام ، والمعنى : لو لم يقتل بني إسرائيل لرباني أبواي ، فأني نعمة لك علي فأنت تمنّ علي بما لا يجب أن تمنّ به . وقيل : اتخذك بني إسرائيل عبيداً أحبط نعمتك التي تمنّ بها . وقال الزمخشري : وأبي ، يعني موسى عليه السلام ، أن يسمي نعمته أن لا نعمة ، حيث بين أن حقيقة إنعامه تعبد بني إسرائيل ، لأن تعبدهم وقصدهم بذبح أبنائهم هو السبب في حصوله عنده وتربيته ، فكأنه امتن عليه بتعبيد قومه إذا حققت . وتعبيدهم : تذليلهم واتخاذهم عبيداً ، يقال : عبدت الرجل وأعبدته ، إذا اتخذته عبداً ، قال الشاعر : % (علام يعبدني قومي وقد كثرت %

فيهم أباعر ما شاؤوا وعبدان .

%) .

فإن قلت : وتلك إشارة إلى ماذا ؟ وأن عبدت ما محلها من الإعراب ؟ قلت : تلك إشارة إلى خصلة شنعاء مبهمة ، لا يدري ما هي إلا بتفسيرها ؛ ومحل أن عبدت الرفع ، عطف بيان لتلك ، ونظيره قوله تعالى : { وَقَضَيْدَا إِيْلَيْهِ ذَلِكَ الْآمَرُ أَنْ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مَّصْدِرَيْنِ } ، والمعنى : تعبيدك بني إسرائيل نعمة تمنها عليّ . وقال الزجاج : يجوز أن يكون في موضع نصب ، المعنى أنها صارت نعمة عليّ ، لأن عبدت بني إسرائيل ، أي لو لم تفعل لكفلي أهلي ولم يلقوني في اليم . انتهى . وقال الحوفي : { أَنْ عَيْدَتَّ بَدَيْ إِسْرَائِيلَ } في موضع نصب مفعول من أجله . وقال أبو البقاء : بدل ، ولما أخبر موسى فرعون بأنه رسول رب العالمين ، لم يسأل إذ ذاك فيقول : { وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ } ؟ بل أخذ في المداهاة وتذكّار التربية والتقبيح لما فعله من قتل القبطي . فلما أجابه عن ذلك انقطعت حجته في التربية والقتل ، وكان في قوله : رسول رب العالمين

دعاء إلى الإقرار بربوبية الله ، وإلى طاعة رب العالم ، فأخذ فرعون يستفهم عن الذي ذكر

موسى أنه رسول من عنده . والظاهر أن سؤاله إنما كان على سبيل المباهة والمكابرة

والمرادّة ، وكان عالماً بالله . ويدل عليه : { لَقَدْ عَلِمْتُمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ

إِلَّا رَبُّكُمْ * السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ * بَعَثَ فِي هَؤُلَاءِ

لِلرِّيَاسَةِ وَدَعَا إِلَى اللَّهِ ، واستفهم بما استفهاماً عن مجهول من الأشياء . قال مكي : كما

يستفهم عن الأجناس ، وقد ورد له استفهام بمن في موضع آخر ، ويشبه أنها مواطن . انتهى .

والموضع الآخر قوله : { فَمَنْ رَّىٰ بُرْهَانًا بِمَا تَوَسَّىٰ * تَوَسَّىٰ } ؟ ولما سأله فرعون ، وكان السؤال بما التي هي من سؤال عن الماهية ، ولم يمكن الجواب بالماهية ، أجاب بالصفات التي تبين للسامع أنه لا مشاركة لفرعون فيها ، وهي ربوبية السموات والأرض وما بينهما . وقال الزمخشري : وهذا السؤال لا يخلو أن يريد به أي شيء من الأشياء التي شوهدت وعرفت أجناسها ، فأجاب بما يستدل عليه من أفعاله الخاصة ، ليعرفه أنه ليس مما شاهد وعرف من الأجرام والأعراض ، وأنه شيء مخالف لجميع الأشياء ، { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } . وأما أن يريد أنه شيء على الإطلاق فتفتيشاً عن حقيقة الخاصة ما هي ، فأجاب بأن الذي سألت عنه ليس إليه سبيل ، وهو الكافي في معرفته معرفة بيانه بصفاته استدلالاً بأفعاله الخاصة على ذلك ؛ وأما التفتيش عن حقيقة الخاصة التي هي فوق فطر العقول ، فتفتيش عما لا سبيل إليه ، والسائل عنه متعنت غير طالب للحق . والذي يليق بحال فرعون ، ويدل عليه الكلام ، أن كون سؤاله إنكاراً لأن يكون للعالمين رب سواه ، ألا نرى أنه يعلم حدوثه بعد العدم ؟ وأنه محل للحوادث ؟ وأنه لم يدعّ الإلهية إلا في محل ملكه مصر ؟ وأنه لم يكن ملك الأرض ؟ بل كان فيها ملوك غيره ، وأنبياء في ذلك الزمان يدعون إلى الله كشعيب عليه السلام ؟ وأنه كان مقراً بالله تعالى في باطن أمره ؟ وجاء قوله : { وَمَا يَدِينَهُمْ } على التثنية ، والعائد عليه الضمير مجموع اعتباراً للجنسين : جنس السماء ، وجنس الأرض ؛ كما ثنى المظهر في قوله : .

بين رماحي مالك ونهشل .

اعتباراً للجنسين : وقال أبو عبد الله الرازي يحتمل أن يقال : كان عالماً بالله ولكنه قال ما قال طلباً للملك والرياسة . وقد ذكر تعالى في كتابه ما يدل على أنه كان عارفاً بالله ، وهو قوله : { لَقَدْ عَلِمْتُمَا أَنَّ زُلَّ هَوًى } الآية . ويحتمل أنه كان على